

## كيف عَرفَهَا

ترتيب الحوادث أن تنتهي ثم نكرُّ راجعين للسؤال عن بدايتها، وسبيل التواريخ أن تنطوي السير وتنصرم الدول ثم نتقصى مناشئها وأسباب ظهورها.

فنحن لا نحيد عن مجرى الزمان حين نعرف الساعة كيف تلاقت سارة وهمام، بعد أن عرفنا منذ برهة كيف كانت القطيعة وكيف كان اللقاء الأخير.

لَمْ يقصد همام أن يلتقي بسارة ولم تقصد سارة أن تلتقي بهمام، وإنما جاء اللقاء كما تجيء معظم الحوادث الكبرى في معظم التواريخ والسير، من زواج وفراق ورحلة واختيار مساعٍ واقتحام غيوب، مصادفة لا يسبقها عمد، وعرضاً لا يمهّد له بتفكير.

خرج همام يتمشى في الخلاء ضحوةً من ضحوات الخريف التي تبتهج فيها الشمس في هدوء، ويرقص فيها الهواء في حنين، ويرق فيها الجو في تشوّق وارتقاب، وتطرح فيها النفس أعباءها كما تطرح القافلة أحمالها عند مشاركة الواحة المبشرة بالماء الغزير والظل الظليل، ريثما تنهض بالعبء من جديد.

ماذا عسى أن يكون العبء المنظور؟

لا تقول الشمس، ولا يجيب الهواء، ولا يشف عنه الجو، ولا تحفل النفس ما يكون، حتى يكون ... إن كان!

ويعود همام من رحلته وقد علق جميع همومه وأجلّ جميع نياته، وأصبح جزءاً من الشمس والهواء والجو، ولم يعد جزءاً من عالم الإنسان.

وألقى نفسه وهو عائد إلى منزله على مقربةٍ من مسكن صاحبه الأستاذ زاهر، وهو رجل ظريف طيب النحيظة من أولئك الذين يرضون فيسلون ويطربون، ويسخطون فيكونون أدنى إلى التسلية والطرب، لطرافة ما يرتجله في هذه الحالة من مفارقات اللذع والتنديد.